وقفة: مع الرحمة

أيها المسلم الموحّد، هب أن مزارعًا ألقى بذره على صخرة صماء، فهل ينبت من ذلك البذر شيء؟ وما الذي سيحل بتلك البذرات إذا ما نزل ماء السماء؟

لا شك أن الماء سيحملها من على الصخرة، وسيغدو بها بعيدًا دون أن تتحقق الفائدة من رمي البذرات.

أما إذا قام ذلك المزارع بزرع بذراته في أرضٍ خصبة، فحتمًا ستؤتي أكلها بإذن ربها.

تمامًا كما هو شأن القلوب، فإن منها قلوبًا صلبة شديدة، كالحجارة أو أشد قسوة، فكم هي القلوب التي لا تلين للقرآن الكريم إذا يتلى، ولا للأحاديث إذا تروى، ولا للمواعظ حين تلقى.

والعجب كل العجب من قلبٍ أصم، لا يتأثر بقول حكيم، ولا بمنظر مؤلم أو حزين، ولا بمشهدٍ بئيس، فلا يستجيب لدعاء خير، ولا يلبي نداء الواجب أيًا كان نوعه، دينيًا، أو وطنياً، أو اجتماعيًا،....

ومن القلوب ما يفيض حنانًا ورقة، وشفقة ورحمة، ورأفة وإحسانًا، وألفة ومحبة، وثباتًا على الحق، فاللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.

الرحمة يا أيها الأحبة في الله، صفة كريمة، وعاطفة نبيلة، متى سكنت قلب امرئ كان له من الخير الكثير.

الرحمة في القلوب، سبب توفيق الأنبياء والمرسلين في أداء رسالتهم، وحب الناس لهم، فها هو النبي صلى الله عليه وسلم رحيم بالناس، عطوف بهم، شفوق عليهم، يقول له ربه:{وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا

رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾} [الأنبياء: ١٠٧].

النبي صلى الله عليه وسلم ، كان أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأرحم بهم من والديهم، قال تعالى:{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾} [التوبة: ١٢٨].

ثم بين له الله رب العالمين، أن الرحمة واللين مهم في الدعوة إلى الله، وإلى اجتذاب الناس، وكسب ودهم، وأن الغلظة وقسوة القلب مدعاة لنفور الناس، وانفضاضهم عنه، قال الله تعالى:{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: ١٥٩].

إنها الرحمة أيها الأخ المبارك، متى ما بلغت في قلب المسلم مبلغًا، واستولت على مشاعره وأحاسيسه، وملكت عواطفه ووجدانه، فكفّت يده عن الاعتداء على دماء الناس، وأموالهم، وأعراضهم، لأن رحماء القلوب، أبدًا لا يؤذون غيرهم.

فهلاّ تراحمنا، وهلا امتلأت منا القلوب رحمة وحنانًا، فلا يَلقى المسلم مسلمًا إلا وفي قلبه عطف مذخور، وبر مكنون، فيوسع على المسلمين، ويخفف عنهم، يواسيهم في مصائبهم، ويشاركهم في أفراحهم.

الرجل الرحيم، هو ذلك الرجل، الذي يغيث الملهوف، ويعين المكروب، ويجلب السرور للمحزون، ويقضي حوائج الناس، جعلني الله وإياكم من الرحماء.

إنها الرحمة، نعم إنها رحمة تبعث على مواساة الأيتام، والعطف على الأرامل، والتصدق على الفقراء والمساكين، ومساعدة البؤساء والمضطرين، أفليس حريًا بنا أن نكون من الرحماء؟

بلى والله، فالراحمون يرحمهم الرحمن، ومن لا يرحم لا يُرحم.

فالحذر الحذر أيها الفضلاء، الحذر ألا نكون من أجلاف الناس، الذين خلت قلوبهم من الرحمة فأوصدوها، فلم يواسوا إخوانهم في ألم، ولم يعينوا في مصيبة، ولم تعرف قلوبهم الرقة، فأين هم من الاقتداء بمحمد صلى الله عليه وسلم ؟ وألم يكن لهم في رسول الله أسوة حسنة؟ وهو الذي قال عنه ربه:{بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة: ١٢٨].

يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم :♂**ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم**═، رواه أحمد.

فأدوا يا إخوتي ما عليكم من حقوقٍ، سواءً كانت لله، أو لعباده، أو لأنفسكم، ولا تكونوا قساة القلوب وعُتاتها، فتصبحوا من الأشقياء.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت الصادق المصدوق صاحب هذه الحجرة، أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول:♂**لا تنزع الرحمة إلا من شقي**═، رواه أبو داود.

ما أحوجنا اليوم إلى الرحمة والتراحم، وما أحوجنا إلى آثار ذلك الجمال الإلهي الباقي في طبائع النفوس الخيّرة، التي عرفت قدر الرحمة فرحمت، فوسعت الناس رحمة وعطفًا، ونحن اليوم أحوج ما نكون إلى الرحمة من أي وقت آخر، في مجتمعنا الإسلامي، وعالمنا الإنساني.

فليّنوا قلوبكم، ورققوا أفئدتكم، وتراحموا فيما بينكم، واستلوا القسوة من قاع قلوبكم، وقفوا وقفة واحدة مع الرحمة، وقولوا معي، اللهم ارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم آمين.

* * *